

ملف العدد

الاستدلال الحجاجي في الخطاب القرآني

«الآية ٢٣ من سورة البقرة» نموذجاً^(١)

ياسين عميمي•

إِنَّا سَخَّلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا

ملخص

تنسلك هذه الورقة ضمن الدراسات اللسانية المنطقية، الساعية إلى إقامة منطق طبيعي تتوافر فيه الأدوات اللازمة لتعقب الاستدلالات القائمة في اللغة الطبيعية. فإذا كان المنطق البرهاني يختص بضبط وتقنين الاستدلالات الصورية، فإن المنطق الطبيعي يستفيد من النظرية البرهانية، ويقتبس بعض تقنياتها لوضع قواعد قادرة على رصد حركية الاستدلالات الطبيعية، وتقييم فاعليتها.

وتهدف هذه الدراسة بداية إلى التمييز بين الاستدلالات الطبيعية والاستدلالات الصورية. ثم سيركز الجانب التطبيقي على جرد الوسائل الاستدلالية المنذورة لبناء حجاج قرآني قادر على إثارة العقول وحملها على الاقتناع. كما تهدف الدراسة إلى اختبار فاعلية بعض القواعد الاستدلالية التي يقترحها منطق اللغة. والوقوف على مدى نجاعة هذه القواعد في استيعاب الاستدلال الطبيعي بمساراته المتشعبة.

وتنطلق هذه الدراسة من فرضيتين أساسيتين: الأولى ترتبط بالمنهج، وتتصور من خلالها أن الجمع بين الدراستين اللسانية والمنطقية، يوفر للدارس المفاتيح المناسبة لضبط الاستدلالات الحجاجية التي تزخر بها الخطابات الطبيعية. أما الفرضية الثانية، فهي مرتبطة بالمتن، ونعتقد في هذا الجانب أن الخطاب القرآني ينفرد ببناء حجاجي خاص يراعي المدارك المتفاوتة والطبائع والمتباينة. وهذه الخاصية القرآنية هي التي تجعل «الآية الواحدة» كفيلة -حسبما نفترض- باستخلاص أهم أصول المنطق الطبيعي.

واستناداً إلى ما تقدم، فإن إشكالية الدراسة يمكن أن تتجأ إيجاباً إلى أسئلة فرعية، أهمها هو: كيف يمكننا تحديد وتصنيف الآليات الاستدلالية التي تتدخل في بناء الحجاج القرآني؟ وإلى

curriculum; We predict that combining linguistic and logical study, Provides the learner with the appropriate keys to adjust the volumetric inferences of natural letters. The second hypothesis; They are related to the corpus; In this respect, we believe that the Qur'anic discourse is unique in building a special argument that takes into account the varying degrees, nature and contrasting. This Qur'anic characteristic makes "one verse" sufficient, Suppose, by drawing out the most important natural-logic origins.

Based on what he attributed, The problem of the study can be procedural in its nature, the most important of which is sub-questions; It is how we can identify and classify the evidentiary mechanisms that interfere in the construction of the Qur'anic pilgrims? To what extent will the mandatory rules, suggested by natural logic, enable us to explain and represent Qur'anic inferences?

تمهيد: محددات مفهومية وإشكالية.

الاستدلال واحد من المفهومات المركزية في تاريخ الفكر البشري عامة. ويُعدُّ أرسطو أول من تناول الاستدلال، مفصلاً القول في أصنافه

أي حدَّ ستمكننا القواعد الاستدلالية. التي يقترحها المنطق الطبيعي، من تأويل وتمثيل الاستدلالات القرآنية؟

This article is part of the Linguistics study, which tends to set up a natural logic where can exist the essential tools, In order to highlight the existing inferences are available in the natural language. If the evidence. Logic is to control and codify the sham inferences, The natural logic benefits from the logical evidence and it quotes some of its techniques to establish rules that can found the dynamics of natural connotations, and evaluate its effectiveness.

The study aims, first, to distinguish between natural inferences and conceptual inferences. The practical side will then focus on the inventory of the evidentiary means that are allocated to the construction of Qur'an pilgrims capable of provoking minds and making them convinced. The study tends to test the effectiveness of some of the mandatory rules suggested by means of the logic of language. And to prove how these rules are effective in understanding natural inference with their manifold paths.

This study is based on two basic hypotheses, The first relates to the

تبحث لتتأجها عن اليقينية والكونية المجردة^(٥).

ولا ينبغي أن ننسى أن الاستدلال بشكل عام، ظاهرة من ظواهر الفكر البشري، مهما تباينت المستويات المعرفية أو الحضارية للمجموعات البشرية^(٦). فهو آلية ذهنية تتمثل في الانتقال بين طرفين: هما الدال والمدلول؛ أي أنه انتقال من أمور حاصلة في ذهن الإنسان إلى أمور مستحصلة^(٧). وهذا الانتقال تسوغه علاقة تجمع بين هذين الطرفين. ولا يُشترط في هذه العلاقة أن تكون برهانية صورية. وإلا فإتنا نحصر الاستدلال -باعتباره ظاهرة بشرية- في مجال ضيق.

إذا كان الاستدلال البرهاني -بالنسبة لأرسطو- هو أرقى أنماط الاستدلال، فإنه يبقى غير قادر على ضبط كل الضروب الاستدلالية التي ينشأها ويوظفها العقل البشري. ويرجع ذلك بصفة أساسية إلى طبيعة ونظام هذا العقل الذي يشتغل وفق منهجية جد معقدة، يصعب حصرها وتدقيق مسالكها، «لذلك تجد في أبسط عمليات الإدراك مجهوداً ذهنياً من الإسقاط والانتقاء والتقطيع والتنظيم، وهو ما يقتضي مستوى معيناً من البناء الاستدلالي»^(٨). وهو ما حدا ببعض الدارسين إلى التمييز بين الاستدلال الصوري الذي يختص به المنطق البرهاني الصناعي ويتوسل فيه

ومراتبه ووظائفه المعرفية والإقناعية^(٩)، ضمن نظرية استدلالية عامة تناولت الخطابات البرهانية والجدلية والخطابية والسفسطائية. وتظهر القيمة المعرفية التي يتمتع بها الاستدلال، في كونه قاسماً مشتركاً بين علوم شتى داخل الثقافتين العربية والغربية على حد سواء. فتجده حاضراً في المؤلفات المنطقية واللسانية والأصولية والكلامية والبلاغية. لذلك ذهب بعض الدارسين إلى القول بعدم وجود تعريف قارٍ للاستدلال^(١٠)، ومردُّ ذلك إلى اختلاف الحقول المعرفية التي تتجاذب هذا المفهوم.

وربما كان المنطق أكثر العلوم ارتباطاً بالاستدلال، فقد عُدَّ «المنطق علم الاستدلال»^(١١)، إذ يختص بوضع القوانين التي تسمح بالتمييز بين الاستدلالات السليمة والاستدلالات الفاسدة. والاستدلال المنطقي يُركِّز على مبدأ القضايا، حيث يتم الانتقال الضروري من المقدمة (قضية واحدة أو أكثر)، إلى النتيجة. وهو استدلال مُتَرَفِّعٌ عن المقامات التي تُحيط بالعمليات الاستدلالية؛ لأنه استدلالٌ صوري برهاني وأليّ مجرد. وذلك هو السبب في توظيف العلوم البرهانية لهذا الاستدلال؛ لأنها

(٢) بناصر البعزاتي: الاستدلال مستويات في القوة والوثاقة، ضمن: آليات الاستدلال في العلم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص: ١٥.

(٣) يُنظر: شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر وكتبة الآداب والفنون الإنسانية بجامعة منوبة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص: ١٨.

(٤) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، ٢٠١٦م، ص: ٨٩.

(٥) ينظر: رشيد الراضي: الحججيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، المجلد ٣٤، يوليو سبتمبر ٢٠٠٥م، ص: ٢٩.

(٦) عبد السلام بن ميس: ضمن آليات الاستدلال في العلم، ص: ٩.

(٧) ابن سينا أبو علي الحسين: الإشارات والتنبيهات، الجزء الأول: في علم المنطق، نشر البلاغة قم، الطبعة الثانية، ١٣٣٥هـ، ص: ١٧.

(٨) يُنظر: بناصر البعزاتي: الاستدلال مستويات في القوة والوثاقة، ص: ٩٠.

الاستدلالية التي تزخر بها اللغة الطبيعية^(١٣). فكان لزاماً عليها أن تعمل على إيجاد منطق طبيعي لا صوري، يرصد الاستدلال الخطابي الحجاجي، ويهتم بطرائق التدليل كما تجري على اللسان الطبيعي. مُستعيناً في ذلك بالخاصية الاستكشافية التي يتميز بها المنطق^(١٤) البرهاني. لأن هذا الأخير «يفيد محاولات الوصف العلمي أياً كانت بأن يمدّها بأدوات لاستكشاف الظواهر التي تبحثها»^(١٥).

ستنحو هذه الدراسة الموسومة بـ«الاستدلال الحجاجي في الخطاب القرآني»، منحى الدراسات السالفة الذكر، في المزاجية بين الآليات اللسانية والآليات المنطقية، لعقد مقارنة بين الاستدلال الصوري البرهاني والاستدلال الحجاجي الطبيعي، ورصد أهم خصائصهما. وستنبئ الدراسة منهجاً وصفيّاً تحليلياً بغية النفاذ إلى أهم مقومات الاستدلال القرآني. وتحقيق هذه الغاية رهين بالتساؤل عن أهم ضروب الاستدلال الطبيعي التي يوظفها الحجاج القرآني. وهل يكفي الخطاب القرآني بتجديد آليات استدلالية طبيعية فحسب؟ أم إنّه يستعين كذلك بآليات استدلالية برهانية؟ وأتى لهذا الخطاب أن يوافق في بنائه الحجاجي بين ما هو برهاني وما هو طبيعي؟

وقد اختارت الدراسة الخطاب القرآني

(١٣) يُنظر: حسان باهي: اللغة والمنطق: بحث في المفارقات، منشورات ضفاف، دار الأمان الرباط، الطبعة الأولى ٢٠١٥م، ص: ٦٥.

(١٤) أبو بكر العزاوي: اللغة والمنطق: مدخل نظري، طوب بريس (د ط) ٢٠١٤م، ص: ٢٠.

(١٥) طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الخامسة، ٢٠١٤م، ص: ٣٠.

بالحساب، والاستدلال غير الصوري الذي يختص به المنطق الطبيعي ويتوسل فيه بالخطاب^(٩).

إن النزعة التريضية للمنطق «التي أكدت يقينية العلوم الرياضية وألحت على ضرورة الاقتداء بها في سائر المعارف الإنسانية»^(١٠)، ما فتئت أن تراجعت من داخل المنطق نفسه، بعد طرح التساؤل عن أساس اليقين الرياضي. وهو الأمر الذي نتج عنه ظهور أنساق منطقية جديدة، منطق الموجهات ومنطق الزمان، والمنطق الاحتمالي الذي ينظر في القضايا التي يدخل في تركيبها مفهوم الاحتمال^(١١). هذا الانحراف الذي عرفه مسار المنطق يمثل واحداً من الأسباب المساهمة في ظهور دراسات تزاحم بين المنطق واللغة^(١٢)، بغية رصد ووصف الاستدلالات الحجاجية في اللغة الطبيعية.

إن وضع الاستدلال الحجاجي في مقابل الاستدلال البرهاني هو منهج تتبناه معظم الدراسات الحجاجية والتداولية المعاصرة (طه عبد الرحمن - جون بليز غرايز - أوزفالد ديكر، إلخ). واهتدت هذه الدراسات إلى عجز الأنساق الصورية عن الإحاطة بكل الإمكانيات

(٩) طه عبد الرحمن اللسان والميزان، ص ٤١.. ويُنظر أيضاً: Jean-Blaise Grize: LOGIQUE NATURELLE ET REPRÉSENTATIONS SOCIALES Université de Neuchâtel, Suisse.

(١٠) ينظر: رشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكر، ص: ٢٠٩.

(١١) المرجع نفسه، ص: ٢١٠.

(١٢) Azzouzi Boubker: argumentation et Enonciation, top presse. Rabat ; 2014 ; p-p: 12- 21.

وعُدَّ المنطق «آلة قانونية تعصم الفكر مع ابن سينا، وصناعة تقوِّم العقل مع الفارابي»^(٢٠). وقد اعترض طه عبد الرحمن على ذكر مفاهيم دالة على ذوات مجردة في تعريف المنطق، نحو الذهن، والفكر، والعقل، لأنها «معاني لا يمكن أن ييَّث المنطق في طبيعتها، فيكون ذكرها في تعريفه دليلاً على فساد هذا التعريف»^(٢١). وصاغ طه عبد الرحمن حدًّا للمنطق^(٢٢) «يستوفي مقتضى الأصالة ومقتضى الحداثة معًا، فجعل المنطق علمًا يبحث في قوانين اللزوم»^(٢٣).

المنطق الصوري هو منطق الفكر الرياضي ومنطق البرهنة، وهذه الأخيرة لا تعدو أن تكون مجموعة من القضايا المستقلة عمن أثبتوها وعن شروط إنتاجها. في الحقيقة نحن لا نشترط في البرهنة أن تكون مقنعة persuasive، فمن المحتمل أن تكون صادمة للحس/المنطق المشترك sens commun، ويكفي أن تكون سليمة منطقيًا (صوريًا)^(٢٤).

١. الاستدلال في منطق القضايا:

تعتبر القضايا les propositions^(٢٥) الوحدات الأساس في الاستدلال القضوي. ما يعني أن

(٢٠) محمد مرسل: دروس في المنطق الاستدلالي الرمزي، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، ص: ٦.

(٢١) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص: ٨٧.

(٢٢) تتبنى تعريف الدكتور طه عبد الرحمن لأننا نذهب مذهبه في جعل المنطق منطقين: منطق طبيعي، ومنطق صناعي.

(٢٣) يُنظر طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص: ٨٧-٨٨.
(24) Jean-Blaise Grize: LOGIQUE NATURELLE ET REPRÉSENTATIONS SOCIALES Université de Neuchâtel, Suisse, p: 01.

(٢٥) المقصود بالقضية في المنطق، الجملة الخبرية التي يحتمل أن تكون صادقة أو كاذبة.

باعتباره خطابًا تتوافر فيه شروط الحجاج كما حددها أوليفي روبول^(٢٦) ويبيّنها عبد الله صولة بيانيًا شافياً^(٢٧). فالخطاب القرآني خطاب الحجاج والجدل، خطاب العقل والقلب، خطاب التغيير والإصلاح، لذلك تجده زاخرًا بمختلف الحجج العقلية واللغوية. ونفترض أن هذا الطابع الحجائي الذي يتسم به الخطاب القرآني، سيعيننا على استخلاص أهم خصائص الاستدلال في «منطق اللغة الطبيعية».

أولاً: الاستدلال في المنطق البرهاني.

إن أرسطو هو واضع علم المنطق، وهو أول دارس للاستدلال بمفهومه المنطقي، وهو لم يطلق على أعماله اسم «المنطق». غير أن طلابه جمعوا مصنفاته المنطقية في كتاب واحد، وأضافوا إليه مقدمة، ثم سُمِّيَ ذلك الكتاب بـ الأورغانون، وهي كلمة يونانية معناها الآلة^(٢٨).

ثم استعمل العرب لفظ المنطق «في معنى النطق»: وهو التصويت الخارج من الفم بتحريك جراحة اللسان، ثم حصل التوسع في استعمال هذا اللفظ عندما نُقِلَتْ كتب أرسطو إلى العربية فدلَّ الثَقْلُ بهذا اللفظ على مضمون «الأورغانون»^(٢٩).

(٢٦) يُنظر: أوليفي روبول، مدخل إلى الخطابة، ترجمة رضوان العصبية، مراجعة حسان باهي، إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، ٢٠١٧، ص: ١٢٠-١٢٥.

(٢٧) يُنظر: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص: ٤١-٤٥.

(٢٨) يُنظر: عزمي طه السيد أحمد: مدخل إلى علم المنطق، عالم الكتب الحديثة، إريد - الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٥م، ص: ٥.

(٢٩) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص: ٨٦.

قيمة الصدق المناسبة، في كل حالة تتغير فيها قيم قضاياها البسيطة.

مثال ٢: «إذا كان زيد يُدرّس اللغة العربية فإنه ضابط لقواعد النحو» هذه القضية كذلك مركبة من قضيتين بسيطتين يجمع بينهما رابط الشرط (إذا... ف). ويمكن أن نمثل صورياً هذه القضية على الشكل الآتي: د ← ن. وتحديد قيمة الصدق في هذه الحالة يكون مرده إلى جدول الصدق الخاص برابط الاستلزام/الشرط (←)، الذي يقرر أن القضية الشرطية المركبة لا تكون كاذبة إلا وفقط إذا صدق المقدم (د) وكذبت النتيجة (ن).

في استعمالنا للروابط السابقة في اللغة العادية، نفترض عموماً أن القضايا البسيطة مرتبطة فيما بينها بروابط مفهومية، أما الروابط المنطقية فهي لا تُقحم الترابط المفهومي للقضايا بأي شكل من الأشكال، ولكنها تهتم فقط بقيمة صدق القضايا، فمثلاً الصيغة المنطقية ب ٧ س، يمكن تحويلها صورياً إلى القول الآتي: «يملك الدجاج أسناناً أو أن الأرض كروية الشكل» وهي قضية صادقة منطقياً؛ لأن واحدة من قضاياها البسيطة صادقة، أو يمكننا أن نحول البناء الصوري ق١ إلى قول: إذا (كان ماكرون رئيس فرنسا) إذن (٨=٢+٦) «وهي قضية صادقة منطقياً لأن شرطها ونتيجتها صادقان معاً»^(٧).

منطق القضايا لا يحل تلك الوحدات، وإنما يدرس القواعد التي تنظم تركيباتها، حيث تسمح لنا بعض الألفاظ في اللغة الطبيعية بالربط بين عدد من القضايا البسيطة لتكوين قضايا أخرى مركبة. ونسمي هذه الروابط بـ: الروابط المنطقية، أو الروابط القضيوية.

مثال ١: «الشمس مشرقة والبحر قليل الهيجان»، هذه قضية مركبة من قضيتين بسيطتين الأولى الشمس مشرقة، والثانية البحر قليل الهيجان. والرابط القضيوي هو الواو. ويمكننا تمثيل هذه القضية المركبة برموز منطقية على الشكل الآتي: ب ٨ ج. حيث تشير الحروف إلى القضيتين البسيطتين، في حين يشير الرمز ٨ إلى رابط الوصل (واو العطف أو ما يحمل معناها). وتمتلك القضايا المركبة خاصية مميزة تتمثل في أن قيمة صدقها^(٨)، مرتبطة فقط بقيمة الصدق في قضاياها البسيطة.

فالقضية المركبة ب ٨ ج لا يمكن أن تكون صادقة، إلا وفقط إذا كانت القضيتان البسيطتان المكونتان لها صادقتين معاً. إلى جانب رابط الوصل هناك روابط أخرى يدرسها منطق القضايا وهي رابط النفي ٦، ورابط الفصل ٧، ورابط الاستلزام ← أو الشرط، ورابط التشارط ↔. وكلُّ رابط من هذه الروابط يناسبه جدول صدق يعطي القضية المركبة

(27) Laurence Bouquiaux et Bruno Leclercq: Logique formelle et argumentation, Démarches de pensée, groupe de Boeck, Edition de Boeck Université, Bruxelles, 2009. P- P: 24 - 25.

(٨) قيمة الصدق: نقصد باستعمالنا لهذا المصطلح المركب أن القضية إما تكون صادقة وإما تكون كاذبة، لأن المنطق الذي نتحدث عنه هنا ثنائي القيمة bivalent أي لا تأخذ فيه القضايا إلا أحد هذين الحكمين.

القضيتان (١) و(٢) هما مقدمتا الاستدلال، في حين أن القضية (٣): هي نتيجة الاستدلال. وكل قضية من هذه القضايا هي جملة خبرية تتضمن مخبراً عنه ومخبراً به، الأول يسمى الموضوع sujet، والثاني يسمى المحمول prédicat. فالمخبر عنه في القضية (٢) أي الموضوع: هو زيد، في حين يكون المخبر به أي المحمول هو شاعرٌ. ويُطلق على الموضوع والمحمول في قضية ما اسم «الحدّ». وبذلك يُمكننا أن نعرف الحدّ بأنه «موضوع القضية أو محمولها، أو ما يُمكنه أن يكون موضوعاً أو محمولاً، وإن كان مفرداً معزولاً لم يُدرج بعد في قضية ما».

الحد الأوسط le moyen terme هو الذي يتكرر في المقدمتين ولا يرد في الاستنتاج (الناس). والحد الأصغر le petit terme هو موضوع الاستنتاج (الإغريق). أما الحد الأكبر le grand terme فهو محمول الاستنتاج.

إن للقضايا والحدود تقسيمات وتفريعات منطقية لا يتسع المقام لذكرها والوقوف على كل صنف منها. لكننا سنشير إلى ما يهمنا في هذا الباب وهو تقسيم القضايا من حيث الكم والكيف، حيث «يُميّز التقابل حسب الكيف، بين القول المثبت affirmatif (الموجب) والقول المنفي négatif»^(٢٩). فالقضايا (١) و(٢) و(٣) هي قضايا مثبتة أو موجبة، «في حين يُميّز التقابل حسب الكم بين الحالة التي يكون فيها الحمل ذا بُعدٍ كلي universelle (كل،

إذا كانت الدراسات اللسانية تميز في منهجها بين الدلالة والتركيب والتداول، فإن دراسة اللغة المنطقية تكتفي بالتركيب والدلالة: في المستوى الأول (التركيبي): يُنظر إلى المنطق الصوري مثل لعبة لتقليب الرموز تبعاً لقواعد محددة، لا نتساءل في هذا المستوى عن معنى تلك الرموز، بل إننا ننشئ سلسلة من قواعد تكوين الصيغ، بصرف النظر عن المعنى الذي تُمثله الرموز (ولن نقول إن الأمر يتعلق بقضايا مركبة في اللغة العادية يُمكن أن تكون صادقة أو كاذبة). ننتقل إلى المستوى الدلالي عندما ننصرف إلى تأويل الرموز: أي عندما نمناها معنىً. ويفرض علينا الانتقال إلى المستوى الدلالي أن نربط كل صيغة منطقية بقيمة صدق (صادقة أو كاذبة)^(٢٨).

٢. الاستدلال في منطق المحمولات

يدرس المنطق القضوي القواعد المنظمة للعلاقات التركيبية بين القضايا، دون الخوض في تحليل تلك القضايا. أما منطق المحمولات فهو يذهب إلى تحليل البيئة المنطقية للقضايا. لذلك تعتبر «الحدود» الوحدات الأساس في منطق المحمولات. لننظر إلى هذا الاستدلال:

(١) كل شاعر كذاب

(٢) زيد شاعر

(٣) إذن زيد كذاب.

(29) Laurence Bouquiaux et Bruno Leclercq: Logique formelle et argumentation, P :58.

(28) Ibid.: P :36.

الحد الأوسط le moyen terme هو الذي يتكرر في المقدمتين ولا يرد في النتيجة (الناس). والحد الأصغر le petit terme هو موضوع النتيجة (الإغريق). أما الحد الأكبر le grand terme فهو محمول النتيجة (فانون).

المقدمة الكبرى la prémisses majeure هي التي تتضمن الحد الأكبر، (كل الناس فانون)، والمقدمة الصغرى la prémisses mineure هي تلك التي تتضمن الحد الأصغر (الإغريق ناس). وبالاتفاق تُذكر المقدمة الكبرى قبل المقدمة الصغرى. وليست كل الاستدلالات التي تستجيب لهذه البنية الأرسطية صحيحة. لذلك عمل أرسطو على تحديد الصور السليمة للاستدلال القياسي، وقد حاول أن يُنظم بشكل منهجي هذه الدراسة بهدف استخراج جملة من القواعد المحددة التي تسمح بتمييز القياسات السليمة عن غيرها. وقد قادته هذه الاجتهادات إلى وضع نظرية القياسات *théorie des syllogismes*.

لا تسمح النظرية الأرسطية والمدرسية للقياسات إلا باتخاذ إجراءات خاصة بالاستدلالات العملية البسيطة (القياسات)، فإذا كان بإمكاننا ردُّ كل القياسات الصحيحة إلى البعض من أشكالها بواسطة قواعد بسيطة مثل مبادلة المقدمتين *permutation des prémisses* أو العكس البسيط *conversion simple*، فإن هذا يدل نوعاً ما على خاصيتها الصناعية.

جميع... والحالة التي يكون فيها الحمل ذا بعد جزئي particulière portée (بعض، جزء...).

وحصل أرسطو بتجميع هذين التقابلين -الكم والكيف-، على أربعة أشكال أساسية للحمل:

كلي موجب: كل المربعات مستطيلات. كلي سالب: ليس هناك مثلث مستطيل. جزئي موجب: بعض المستطيلات مربعات. جزئي سالب: بعض المستطيلات ليست مربعات». وتُستعمل هذه الأشكال الأساسية للإنسان أو الحمل في الاستدلالات المباشرة وذلك باعتماد المربع المنطقي⁽³⁰⁾.

يُعتبر أرسطو أن هناك -إضافة إلى الاستنتاجات المباشرة- سلسلة من الاستنتاجات غير المباشرة، التي تتضمن روابط إنسانية بين حدين، تستخلص انطلاقاً من علاقاتهما الحملية مع حد ثالث هو الحد الأوسط في الاستدلال. وهذا هو مبدأ القياسات الأرسطية *syllogismes aristotéliens*. إذ القياس هو استدلال يتألف من مقدمتين حمليتين لهما حدٌ مشترك، ومن استنتاج حملي يتكون من حدين دُكر كل واحد منهما في إحدى المقدمتين دون أن يتكرر في الأخرى⁽³¹⁾. لننظر إلى المثال الآتي:

كل الناس فانون. مقدمة كبرى

الإغريق ناس. مقدمة صغرى

إذن الإغريق فانون. نتيجة.

(30) Ibid.: p-p: 59-62.

(31) Ibid: p: 63.

تحليلنا لن يقتصر على هذه العلاقة اللزومية بين المقدم والتالي في الشرط، بل سيتوسع ليشمل أنواعاً أخرى من الاستدلال الطبيعي.

البحث في منطق اللغة «يسعى إلى إبراز الإمكانات اللغوية الصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية»^(٣٤) للقول من جهة، وربطها بالاقتضاءات المقامية والتداولية، من جهة أخرى. لذلك ارتأينا أن نجعل الاستدلال الطبيعي خمسة^(٣٥) أصناف: الاستدلال المعجمي، والاستدلال التركيبي، والاستدلال الدلالي، والاستدلال التداولي الاستعمالي، والاستدلال العرفي أو الاصطلاحي.

وهذه الأصناف لا ينفصل بعضها عن بعض في الخطاب الطبيعي، وإنما هي تتداخل متضافرة في بناء الاستدلالات الطبيعية، واجتماعها في الاستدلال الحجاجي الواحد ليس شرطاً، فقد «تكون القوة اللزومية للقول الطبيعي واسعة إلى الحد الذي لا تكون في طاقة متلقي هذا القول الإحاطة بها»^(٣٦).

١. استدلال معاني المفردات

إن البحث في استدلالية المفردات لا يعني النظر إليها معزولة عن سياقها اللغوي ومقامها التداولي، وإنما هو من جهة تقدير لموقعها في بناء الدليل باعتبارها مادة له،

ثانياً: الاستدلال في الخطاب القرآني

ينظر المشتغلون بالمنطق الطبيعي إلى الحجاج على أنه «محاولة حمل السامع أو السامعين على التصرف بصورة ما»^(٣٧). وبشكل إجرائي فالحجاج «هو مجموعة من الآليات اللسانية المنطقية: لسانية لأن الأمر يتعلق بتفكير كلامي، ومنطقية لأنها تجسد إجراءً ذهنيًا»^(٣٨). ولعل توظيف المقاربة الاستدلالية في الوصف الحجاجي سيكون مسلكاً ناجعاً في توضيح وتفكيك تلك الآليات الحجاجية.

وسوف نحاول عملياً اقتفاء تلك الآليات انطلاقاً من الآية الآتية، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ **سورة البقرة: ٢٣**

ويتماشى اختيار الآية وحرص البحث: لأنها سيقّت في مقام استدلال، ثم لأنها تحوي رابط الشرط أو الاستلزام الذي يروم البحث التركيز عليه دون غيره من الروابط: لأنه من جهة، رابط مُشترك بين اللغة الطبيعية واللغة الصورية، ولأنه من جهة أخرى، من أكثر الروابط تعبيراً عن العلاقة الاستدلالية والمتمثلة في الانتقال من المقدمات إلى النتائج، وإن كان

(٣٤) أبو بكر العزاوي: اللغة والمنطق، ص: ٣٣.

(٣٥) يُنظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، الصفحات ٩٤ إلى ٨٩. وأبو بكر العزاوي اللغة والمنطق، ص: ٩٢، وما بعدها.

(٣٦) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص: ٩٠.

(32) J.B. Grize, L'argumentation explication ou séduction (art), dans l'argumentation presse universitaire, de Lyon, 1981, p: 30. نقلاً عن رشيد الراضي

(33) Azzzoui Boubker: argumentation et Enonciation, p-p: 17.

رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. أما في المرة الثانية فتجعل «إن» جملة الشرط بعدها وهي «كنتم صادقين» في حكم عدم الجزم بها^(٣٩).

من ضمن المفردات التي تحمل قوة استدلالية معجمية قوله تعالى: «شهداءكم»؛ والذي يحمل استلزام ترادفي؛ لأن الشهيد يُطلق على النصير بمعنى الشاهد الذي يؤيد قول المشهود فينصره على معارضه^(٤٠)، بمعنى أن لفظ الشهيد هنا يستلزم النصير والمؤيد لدعوى المشركين في تكذيب رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، بل إن هذا اللفظ -شهداءكم- يستلزم كذلك حتى أهلكم التي تعبدونها، وذلك بدليل ما بعدها «من دون الله». فالآية تدعوهم إلى الاستنصار بأهلهم التي يعبدونها من دون الله^(٤١).

من الألفاظ التي تحمل كذلك استلزاماً معجمياً في الآية قوله تعالى في آخر الآية «صادقين»، وهي تحمل استلزام تزايل «ويكون اللفظ (س) مزايلاً للفظ (ص) متى وُجدت مسلمة دلالية تفرق بين مدلول (س) ومدلول (ص)، أو بتعبير مجموعي تقابل بين ما صدق س وما صدق ص»^(٤٢). وما يستلزمه لفظ «صادقين» بالتقابل هو لفظ كاذبين، فأنتم إمّا صادقون وإمّا كاذبون ولا وجود لمرتبة ثالثة بينهما.

ومن جهة أخرى تتبع لمختلف المراحل التي يقطعها هذا الاستدلال الخطابي. فاختيار المفردات المناسبة هو أول خطوة تساعدنا على «تلميع ما نريد بيانه سواء بصورة إيجابية أو سلبية وستحرك المشاعر وردود الأفعال عند المتخاطبين»^(٣٧). فالمقصود عندنا هو ذلك الوقّع أو الأثر الحجاجي الذي تحمله المفردات من خلال دلالاتها المعجمية والتداولية والاستلزامية.

تتضمن الآية الكريمة على مفردات تحمل معانيها دلالة استدلالية. أول هذه المفردات اختيار أداة الشرط «إن»؛ ويظهر ذلك من جهتين: الأولى هي كون «إن» أمّ أدوات الشرط كما يصفها النحويون وذلك لأن معنى الشرط لا يفارقها، على خلاف أدوات الشرط الأخرى التي قد تُستعمل لأغراض أخرى غير الشرط، أي أنها تستلزم الدلالة على الشرط أكثر من غيرها؛ الجهة الثانية هي كون «إن» يمكن أن تُستعمل أكثر من غيرها، في المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها والموهومة والنادرة^(٣٨)، ومنه فأداة الشرط «إن» تستلزم أنّ جملة الشرط بعدها في حكم الوهم المشكوك في حصوله، وقد تكررت «إن» في الآية مرتين، في المرة الأولى تكون جملة الشرط وهي: «كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا»، في حكم الوهم الذي يتوهمه المعتضون على صدق

(٣٩) المرجع نفسه، ص: ٤١.

(٤٠) محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط) ١٩٨٤م، الجزء الأول، ص: ٣٣٩.

(٤١) المرجع نفسه.

(٤٢) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص: ٩١.

(٣٧) رشيد الرازي: اللسانيات الحجاجية، ص: ٢١٣.

(٣٨) أيوب جرجيس العطية، قضايا نحوية بين الافتراضات النحوية والواقع اللغوي، دار الكتب العلمية لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٣م، ص-ص: ٤٠-٤١.

الذي تُقدمه هو تحليل نحوي تركيبى لأن معنى الشرط عند النحويين «العلامة والأمانة، فكان وجود الشرط علامة على وجود جوابه»^(٤٤)، وانتفاء هذه العلامة أي جملة الشرط دليلٌ على انتفاء جواب الشرط. كما أنَّ هذه البنية التركيبية هي التي سَتُعِيننا فيما بعدُ على البحث في مضمَر هذا القول كما سيأتي ذكره لاحقاً عندما نجمع كل هذه الضروب الاستدلالية في تحليل واحد.

٣. الاستدلال الدلالي:

ومعناه «يستلزم القول (ب) استلزماً دلالياً القول (ج)، متى صدق مدلول ج في كل حالة يصدق فيها مدلول ب»^(٤٥). فإذا كنتم «يا معشر المعاندين للرسول الرادين دعوته، في شك واشتباه مما نزلنا على عبدنا»^(٤٦)، فإن صدقت دعواكم فلتأتوا ببرهانكم. فإن كان برهانكم ودليلكم صادقاً كانت دعواكم صادقة، أي تكذيبكم صادقاً. ويُمكن أن تُمثل ذلك على الشكل الآتي:

ادعاء الكفار تكذيب الرسول ← إتيانهم بالبينة. (← تُقرأ يستلزم).

وقد يبدو لنا للوهلة الأولى أن هذا الاستلزام لا ينفك عما ذكرناه في الاستلزام التركيبي، لكن

(٤٤) ابن يعيش موفق الدين أبو البقاء الموصلي، شرح المفصل للزمخشري، قدم له ووضع هوامشه الدكتور إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د ط)، ٢٠١١م، الجزء ٤، ص: ٦٥.

(٤٥) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص: ٩١.

(٤٦) عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ المجلد الأول ص: ٤٦.

وهناك ألفاظ أخرى تحمل استلزمات معجمية تتطلب الكثير من التحقيق والتدقيق، منها قوله تعالى «عبدنا» بما أن الآية جاءت في سياق الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وجاء الخطاب القرآني ليصفه بالعبد، والعبودية هي أرقى مقام وأرفع منزلة، لأن إضافة العبد إلى ضمير الجلالة إضافة نصرة. فالله سبحانه وتعالى ينصر عبده، والمعتضون يستنصرون بالهتهم.

٢. الاستدلال التركيبي:

تضمنت الآية جملتين شرطيتين، والشرط من أوضح أساليب اللغة العربية تعبيراً على الاستلزام والاستدلال؛ إذ يحمل معنى الانتقال من جملة الشرط (المقدمة) إلى جواب الشرط (النتيجة)، فالشرط في اللغة ليس إلا «تعليق حصول مضمون جملة، هي جملة جواب الشرط، بحصول مضمون جملة أخرى، هي جملة الشرط»^(٤٧)، وغاية المتكلم من استعماله في مقام حجاجي هي جعل مخاطبه يشترك معه في بناء هذا الاستلزام الطبيعي والوصول إلى النتيجة التي يسعى المتكلم إلى إقناعه بها، ذلك أنَّ المستمع إذا سلَّم بقُدِّم الشرط فإنه مُلَزَّم بالتسليم بجوابه، بالنظر فقط إلى البنية التركيبية، وهذا الإلزام من باب المعقول أو الممكن إن شئنا على الأقل، ما دام مدار الخطاب في هذه الحالة هو الحجاج وليس البرهان. وهذا التحليل

(٤٧) عبد الله بن أحمد الفاكهي: شرح الحدود النحوية، تحقيق: المتولي رمضان أحمد الدمي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣م، ص: ١٢٣.

الجزء الأخير منها الذي هو «إن كنتم صادقين»: لأنه «اعتراض في آخر الكلام وتذييل»^(٤٨)، وهو تفسير لا يلغي قيمته المنطقية داخل الآية لكننا سنركز بدايةً على الشرط الأول:

إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

أي: ليس القرآن من عند الله ← الإتيان بسورة من مثل سورة.

الدعوى ← الدليل.

أول ما يفاجئنا في هذا الاستدلال القرآني هو أنّه بصيغته الشرطية يقبل قانوناً من قوانين الاستدلال المنطقي، الذي يسمى «عكس النقيض الشرطي» وهو:

(با ← سا) ↔ (ر ← سا) عكس النقيض الشرطي^(٤٩).

(ليس القرآن من عند الله ← الإتيان بسورة من مثل سورة) ↔ [تكافئ] (لم تأتوا بسورة من مثله ← أنه من عند الله). وهو تطابق ليس حاصلًا في كل الاستلزامات الطبيعية، لننظر إلى هذا المثال:

(٤٨) محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الجزء الأول: ص ٣٤١.

(٤٩) قاعدة من قواعد التكافؤ المنطقية: إذا نفينا المقدم والتالي في القضية الشرطية: با ← سا، وعكس مواضعهما نحصل على القضية الشرطية ر ← سا. وهما قضيتان متكافئتان، إذا صدقت إحداهما تصدق الأخرى والعكس، كما يمكننا المبادلة بين هاتين القضيتين (وضع الواحدة مكان الأخرى) في جميع الاستنتاجات. مثال: إذا كان هذا الجسم معدنًا فإنه يتمدد بالحرارة ↔ إذا لم يتمدد هذا الجسم بالحرارة فإنه ليس معدنًا.

هناك اختلافًا بينهما، فالاستلزام الدلالي ليس استدلالًا شرطيًا صريحاً، وإنما يقتضي ذلك دلاليًا، وبعبارة أخرى، فإن الاستلزام الشرطي الصريح مردود إلى الرابط التركيبي، في حين أن الاستلزام الدلالي مردود إلى مقتضى دلالة الصفة المحمولة على المخاطبين.

فكأنّا به عز وجل يقول لهم: أنتم تكذبون بما نزلنا على محمد، وهذا القول وحده يقتضي مطالبتهم بالدليل، «فالبينة على المدعي»، كما يُقال، دون الحاجة إلى البنية الشرطية.

سننطلق بدايةً من افتراض أولي تقترحه بعض كتب التفاسير وهو أنّ الآية إضافة إلى ما تحمله من التحدي، فهي تحمل غرضاً في اعتقادنا أسمى، وهو «الدليل العقلي على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحة ما جاء به»^(٥٧). وانطلاقاً من هذا الافتراض سوف نعمل على تحليل هذا الاستدلال الحجائي تحليلًا منطقيًا «طبيعيًا»، فإن كنتم أيها المكذبون ترون وتدعون أنّ ما جاء به محمد -عبدنا الذي شرفناه وكرمناه- افتراء واختلاق، ودعواكم هذه مشكوك في أمرها مستضعفة من البداية بدليل حرف الشرط السابق لها «إن»، ولنسلم جدلاً أنّ ما تدعونه حقّ فأين دليلكم على ذلك؟ فهذا يلزمكم أن تأتوا بالدليل على صدق دعواكم، والخطاب القرآني يُطالبهم بأن تأتوا بسورة واحدة، فإن استطاعوا وصدق دليلهم، فهذا أمر دالٌّ على صدق دعواهم، ولكي نُظهر البنية المنطقية لهذا «الاستدلال القرآني» المتضمن في الآية، سوف نمثلها دون

(٥٧) المرجع نفسه، ص: ٤٦.

وخلافاً لعكس النقيض، فإن «صحة عكس الثبوت أصل في الاستلزام الطبيعي إلى أن يقوم الدليل على خلاف ذلك»^(٥١).

وإذا تأملنا الآية أكثر، نجدها تُضمّر معنى آخر: وهو أن المكذّبين غير قادرين على الإتيان بسورة من مثل سور القرآن، لذلك فإن البنية التركيبية للآية، كما أشرنا إلى ذلك، ستُعِيننا على التوسع في معناها، ليُصبح تأويل الآية على الشكل الآتي:

إن لم يكن القرآن منزلاً من عند الله تعالى فلتأتوا بسورة من مثله.

ولكنكم غير قادرين على الإتيان بسورة من مثله.

هذان القولان هما بمثابة مقدمتين تلزم عنهما نتيجة حتمية وهي: «هذا القرآن منزلٌ من عند الله تعالى». وهي بنية استدلالية مطابقة لما يسمّى في منطق القضايا بأسلوب الرفع أو رفع التالي Modus Tollens عند الرواقيين^(٥٢). وهو نمط من أنماط الاستنتاج الافتراضية hypothétiques ويمكن تمثيله على الشكل الآتي:

إذا لم يكن القرآن منزلاً من عند الله فأتوا بسورة من مثله. با ← سا.

ولكنكم لم تأتوا بسورة من مثله. سا.

(٥١) المرجع نفسه، ص: ٩٣.

(52) Laurence Bouquiaux et Bruno Leclercq: Logique formelle et argumentation p-p: 17 -18.

إذا شرح الأستاذ الدرس ← التلميذ يفهمه.

لا يمكننا أن نُخضع هذا القول إلى القاعدة السابقة ونقول:

إذا لم يفهم التلميذ الدرس ← الأستاذ لم يشرح الدرس.

فالاستدلال الطبيعي إنما الأصل فيه «بطلان عكس النقيض إلى أن يقوم الدليل على خلاف ذلك»^(٥٣)، وما يُثبت خلاف ذلك في الآية التي ندرسها هو المضمون، ومن هنا يمكننا استخلاص أصل من أصول الاستدلال الطبيعي وهو أنَّ المتحكم في بناء هذا الاستدلال هو المضمون وليس الصورة وذلك أصل -حسب اعتقادنا- في غاية الأهمية.

كما يخضع الاستدلال المتضمن في الآية إلى قانون لا يخضع له الاستلزام الصوري، وهو «قانون عكس الثبوت»، ونرمز له على الشكل الآتي:

(با ← سا) ↔ (سا ← با)

(ليس القرآن من عند الله ← الإتيان بسورة من مثل سورة) ↔ (الإتيان بسورة من مثل سور القرآن ← ليس القرآن من عند الله).

إذا لم يكن القرآن من عند الله، يستلزم أنكم قادرون على الإتيان بسورة واحدة من مثل سورة [تُكافئ] ↔ أنكم إذا استطعتم الإتيان بسورة واحدة من مثل سور القرآن، يستلزم أن القرآن ليس من عند الله، وأنه كلام بشر كما ادعيتم.

(٥٣) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص: ٩٤.

الصغرى والنتيجة. لكن المستمع يُمكنه أن يستعمل آلياته الإدراكية حتى يتمكن أولاً من فك الشفرة اللسانية، وثانياً من ملء الموضع الشاغرة في الاستدلال، وأخيراً من الوصول إلى النتيجة التي يصعب عليه دحضها، والنتيجة التي توصلنا إليها الآية بشكل عقلي ومنطقي هي أنَّ القرآن كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فالافتراض الذي انطلقنا منه بدايةً؛ وهو أن الآية دليلٌ عقلي على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان افتراضاً صحيحاً، ومؤكداً لفعالية المنطق الطبيعي في الاستدلال.

أما ما تبقى من الآية وهو قوله تعالى: «إن كنتم صادقين»، فنعتقد أنه يحمل كذلك قوة لزومية، تتمثل في «الاستلزام التشارحي»؛ و«يستلزم قول ما (ب) استلزاماً تشارحياً القول (ج) متى كان (ب) يستلزم استلزاماً دلالياً (ج) وكان (ج) يستلزم استلزاماً دلالياً (ب)»^(٥٧). فيستلزم القول السابق: «إن كنتم صادقين» تشارحياً القول التالي: «إن كان ارتياحكم وشكُّكم في رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم صادقاً». وهذا التذييل الذي خُتمت به الآية كما أسلفنا اقترن بالشرطية «إن» التي تدل على أنَّ الشرط غير محتمل الوقوع؛ فأتى غير صادقين كما ثبت من خلال ما تقدم من الآية، وصدقكم غير حاصل أو بلغة المنطق «كاذب»، ومنه فإن ارتياحكم في القرآن الكريم وصدقكم «كاذب» كذلك، لأن القولين المتشارجين «متصادقان

إذن فالقرآن الكريم منزلٌ من عند الله. ٦ با. المقدمة الأولى وهي الكبرى قضية شرطية، تتألف من مقدم «با» وتالي «سا»، والمقدمة الصغرى هي نفي التالي «٦سا»، فالنتيجة في هذه الحالة هي «٦ با» أي نفي المقدم.

ولما كانت هذه الصورة هي التي تحدد الماهية المنطقية للدليل، فإن القيم التي تُناسبها هي التي تُناسب الدليل^(٥٨)، وما دامت هذه الصورة تدل على صيغة منطقية مُثبتة في المنطق التقليدي، فيصحُّ لنا أن نقول إن هذا الدليل صحيح بمقتضى صورته، أما مسألة الصدق والكذب فهي متعلقة بالقضايا في استقلال عن صورة الدليل، «فالدليل الصحيح هو عبارة عن الدليل الذي تصدق فيه النتيجة متى صدقت المقدمات»^(٥٩)، لكننا لن نقيس هذا الدليل بقياس الصورة فقط، فقد ثبت لنا أنَّ مضمون قضاياها «صادق»، لذلك فهو يجمع بين الصدق والصحة، فيرتقي إلى درجة أعلى وهي درجة «السلامة»، لأن «الدليل السليم هو ما كانت مقدماته صادقة وصورته صحيحة»^(٥٥).

وهذا لا يعني أننا نجعل هذا الدليل القرآني دليلاً برهانياً، بل إنه يحتفظ بأهم خصائص الاستدلال الطبيعي وهو الإضمار «الذي تختص به الاستدلالات التي تدور في اللسان الطبيعي»^(٥٦)، لذلك جاءت الآية مطوية المقدمة

(٥٣) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص: ١٤١.

(٥٤) المرجع نفسه، ص: ١٤٣.

(٥٥) المرجع نفسه، ص: ٦٣.

(٥٦) المرجع نفسه، ص: ١٤٨.

(٥٧) المرجع نفسه، ص: ٩٧.

يتضمن الاستدلال البرهاني مستويين: التركيبي (ونقصد به الصورة)، والدلالي (ونقصد به المضمون)، غير أن المرجح هنا هو الصورة، فتنزل هذه الأخيرة منزلة المتبوع، في حين تنزل الدلالة منزلة التابع. أما الاستدلال الطبيعي فهو استدلال تداولي يتميز بدمجه لآليات ومستويات استدلالية أكثر تنوعاً وثراءً. لأن الانتقال من الدال إلى المدلول هنا لا يتحكم فيه الصورة، وإنما المضمون الذي يقتضي استحضار الشروط والعناصر التداولية الحافة بالخطاب كافة.

الاستدلال الحجاجي القرآني ليس متفرداً بآليات طبيعية، وإنما يجمع بين الخصائص المنطقية والخصائص الطبيعية التي تتضافر جميعها في بناء الدليل الواحد، ويُمكن أن يجمع هذا الاستدلال بين القوانين المنطقية الصورية مثل قانون «عكس النقيض الشرطي»، والقوانين المنطقية الطبيعية مثل «قانون عكس الثبوت». كما يخضع الاستلزام الطبيعي لبعض أنماط الاستنتاج الافتراضية كما وضعها المنطق القديم. وخضوع الاستلزام الطبيعي لهذه الأنماط الصورية لا يُلحقه بمجال البرهان؛ لأنه يُحافظ دوماً على خصائصه الطبيعية وفي مقدمتها الإضمار وترجيح المعنى على المبنى؛ أي المضمون على الصورة. ويظل الأصل في الاستلزمات الطبيعية مخالفتها للقوانين المنطقية التجريدية.

نفترض أن الجمع بين الآليات المنطقية

ومتكاذبان»^(٥٨)، ومن هنا يكون هذا التذييل بمثابة تأكيد لصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، لكنه جاء توبيخاً للمكذبين وتعريضاً بعدم صدقهم.

يتضح -مما تقدم- أن الآية السابقة تحمل طاقة استدلالية مكثفة، وتخلط في ذلك بين آليات لسانية ومنطقية تتضافر جميعها في بناء الاستدلال الحجاجي القرآني. وتلك من خصائص القرآن الكريم لأن «أسلوبه يخاطب العقل والقلب معاً، ويجمع الحق والجمال معاً»^(٥٩).

خاتمة

تناولنا على امتداد هذه الدراسة مفهوم الاستدلال باعتباره آلية ذهنية، وظاهرة من ظواهر الفكر البشري، وقد ميزنا بين نوعين من الاستدلال: الاستدلال الصوري وبحث فيه المنطق البرهاني، والاستدلال الحجاجي وبحث فيه المنطق الطبيعي. وقد تمخض عن هذا البحث خلاصات ونتائج نُجملها فيما يلي:

تُعتبر القضايا الوحدات الأساس في منطق القضايا، ويُشترط فيها أن تكون جملاً خبرية، في حين تكون الوحدات الأساس في حساب المحمولات هي الألفاظ الموجودة في موقع «الموضوع» و«المحمول»، والمُشكّلة لقضايا الاستدلال.

(٥٨) يُنظر: المرجع نفسه.

(٥٩) محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، حققه أحمد عيسى المعصراني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر - القاهرة - الإسكندرية، الطبعة الرابعة ٢٠١٥م، المجلد الثاني ص: ٢٢٥.

لائحة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

- **القرآن الكريم.**
- **أوليفي روبول:** مدخل إلى الخطابة، ترجمة رضوان العصبية، مراجعة حسان باهي، إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، ٢٠١٧.
- **أيوب جرجيس العطية:** قضايا نحوية بين الافتراضات النحوية والواقع اللغوي، دار الكتب العلمية لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٣.
- **أبو بكر العزاوي:** اللغة والمنطق: مدخل نظري، طوب بريس، (د ط) ٢٠١٤.
- **بناصر البعزاتي:** الاستدلال مستويات في القوة والثاقبة، ضمن: آليات الاستدلال في العلم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- **حسان باهي:** اللغة والمنطق: بحث في المفارقات، منشورات ضفاف الأولى، دار الأمان الرباط، الطبعة الأولى ٢٠١٥م.
- **رشيد الراضي:** الحججيات للسانية عند أنسكومبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، المجلد ٣٤، يوليو سبتمبر ٢٠٠٥م.
- **شكري المبخوت:** الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر وكلية الآداب والفنون الإنسانية بجامعة منوبة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

واللسانية حاضري كل الاستدلالات الطبيعية، لكنه يكون أشد وضوحاً في الاستدلالات التي تُساق داخل مقامات حجاجية، وآية ذلك هو الخطاب القرآني الذي يحاجُّ المكذبين متوسطاً في ذلك باللغة الطبيعية، ولا مانع في أنّ المضامين التي تُصاغ بهذه اللغة يُمكن أن توافق الطرق الاستدلالية المنطقية. وما دام الاستدلال صفة ملازمة للإنسان، فلا عجب أن تخضع اللغة الطبيعية، التي بها نفكر ونتواصل، لقوانين المنطق، لكن ليس بصفة صورية تجريدية، لذلك جُعل منطق اللغة منطقاً طبيعياً.

لقد أسعفنا التحليل الاستدلالي لآية قرآنية واحدة في بيان الخصوصية العقلانية والتداولية التي ينفرد بها البناء الحجاجي القرآني. غير أن نموذجاً واحداً لا يسمح لنا بوضع نتائج نهائية وأحكام دقيقة. وهو ما يفرض ضرورة العمل على توسيع النماذج المدروسة وتنويعها. لتشمل سورة كاملة أو مجموعة من السور، أو مسألة من المسائل التي جادل فيها القرآن الكريم المكذبين والمعتريين. هذه الامتدادات ستقدم لنا تصوراً أوسع وأشمل عن الخصائص الاستدلالية المميزة للحجاج القرآني. كما ستمكننا من الكشف عن الوشائج المنطقية والحجاجية التي تُولف بين أجزاء هذا الخطاب «الربّاني»، لتجعله حجّة واحدة ملتزمة. حجّة لها من الأسرار الاستدلالية ما يجعلها قادرة باستمرار على إثارة العقول، والدخول معها في حجاج متفاعل ومتواصل.

- محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، حققه أحمد عيسى المعصرراوي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر القاهرة - الإسكندرية، الطبعة الرابعة ٢٠١٥م.
- محمد مرسل: دروس في المنطق الاستدلالي الرمزي، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
- **موفق الدين أبو البقاء الموصلي ابن يعيش:** شرح المفصل للزمخشري، قدم له وضع هوامشه الدكتور إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠١١م.

المصادر والمراجع الأجنبية:

Azzzoui Boubker: argumentation et Enonciation, top presse. Rabat; 2014.

J.B. Grize:

- L'argumentation explication ou séduction (art), dans l'argumentation presse universitaire, de Lyon, 1981,
- Logique Naturelle Et Représentations Sociales Université de Neuchâtel, Suisse

Laurence Bouquiaux et Bruno Leclercq:

Logique formelle et argumentation, Démarches de pensée, groupe de Boeck, Edition de Boeck Université, Bruxelles, 2009.

• طه عبد الرحمن:

- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الخامسة ٢٠١٤م.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة ٢٠١٦م.
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- عبد السلام بن ميس: آليات الاستدلال في العلم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- عبد الله بن أحمد الفاكهي: شرح الحدود النحوية، تحقيق: المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣م.
- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- عزمي طه السيد أحمد: مدخل إلى علم المنطق، عالم الكتب الحديثة، إربد - الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٥م.
- محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط) ١٩٨٤م.